من تراب الطريق (٣٥٢)

ضابط الشرطة بين التجنى والتجنى عليه ! (*)

لم يعد غريبًا أن ترى ضابط الشرطة أحيانا متجنيا ، وأن تراه فى أحيان أخرى متجنًّى عليه .. ألحّ علىّ هذا الخاطر وأنا أطالع صباح الجمعة ٣٠/ ١٠ أخبارًا متفاوتة عن ضباط شرطة تأرجحت بين التجنى منهم وبين التجنى عليهم .. فى الوقت الذى لفتنى وأحزننى خبر مصرع ضابط شرطة أخلص فى أداء واجبه وتربص لضبط تاجر مخدرات شهير أتت بشأنه إخبارية أكدتها التحريات عن إعداده لبيع كمية كبيرة من المخدرات ، فلما شعر التاجر بالكمين بادر بالفرار ، فأبى الضابط المخلص لواجبه : النقيب حسام بدوئ الضابط بإدارة مكافحة المخدرات ، أبى إلاّ أن يتعقب ويطارد المجرم الهارب الذى اندفع فى أحد المدقات الصحراوية بطريق الواحات ، فبادر التاجر المطارَد إلى إطلاق النيران على سيارة الشرطة ، حيث أصيب الضابط بإصابة قاتلة وانقلبت السيارة وأصيب أمين الشرطة المصاحب له بإصابات بالغة نقل على أثرها إلى المستشفى ، بينما نقل جثمان الضابط الشهيد إلى المشرحة !

إلى جوار هذا الأداء اللافت للواجب ، خبر عن نجاح مباحث الخانكة فى القبض على المتهمين الهاربين اللذين اشتركا فى قتل جواهرجى

(*) المال٤/ ١١/ ٢٠٠٩

الجمالية مع خمسة آخرين تربصوا له على طريق بلبيس وهو فى طريقه إلى الزقازيق حاملًا ٤ كيلو جرامات من المجوهرات لعرضها على محال الصاغة هناك ، فاعترضوه وقيدوه قبل أن يمطروه بوابل من الرصاص ليردوه قتيلا ويهربوا بما كان معه . ظلت مباحث الخانكة تتعقب الجناة حتى تمكنت من القبض على المتهمين المتبقيين من السبعة الذين ارتكبوا الجريمة !

فى المقابل لفتتنى شكاية عن تعذيب مواطن لحمله على اعتراف ربما ظن المعذبون أنه سوف يصادف الواقع ، ولفتنى خبر القبض على ضابط شرطة بالفيوم ، تورط فى جريمة خطف ، مع جانح مسجل نصب بمعاونة ٩ آخرين ، قاموا بخطف محاسب نجل أحد رجال الأعمال بالعجوزة ، تحت تهديد السلاح ، لوجود خلافات مالية مع والده ، حيث اختفى المحاسب (٢٧ عامًا) من يوم ٢١ أكتوبر ، ولم يعثر له أحد على أثر ، إلى أن تلقت والدته اتصالا تليفونيا منه أبلغها أنه مختطف ومحتجز تحت تهديد السلاح بإحدى المزارع بمحافظة الفيوم ، بعد أن شحنه الجناة معصوب العينين ومقيد اليدين والقدمين فى سيارة نقل إلى حيث احتجزوه بفيلا بالمزرعة وتناوبوا الحراسة عليه بالسلاح ، ولكنه استطاع التقاط رقم السيارة التى كانت الخيط الذى فك غموض الحادث الذى أسفر عن زعامة الضابط بشرطة الفيوم للعصابة التى قامت بخطف واحتجاز المحاسب ، حيث بدأت التحقيقات المكثفة بنيابة حوادث شمال الجيزة !

ما سر أو أسباب هذا التراوح الذى يؤدى أحيانا إلى أقصى النقيضين ؟! فضابط الشرطة الذى يتبتل أحيانا ويضحى بحياته فى أداء الواجب ،

يتردى أحيانا فى ممارسة السلطة ، فيتورط فى التلفيق وفى القبض والاحتجاز بغير حق ، أو فى إساءة المعاملة والضرب والتعذيب ، وقد يسرف أحيانا فى الاستقواء بالسلطة فيتردى فى حومة الجريمة كضابط شرطة الفيوم الذى تورط فى جريمة اختطاف واحتجاز تدخل فى باب الجنايات !

ظنى أن السلطة هى المرتقى لو أحسن الضابط فهمها ـ لأداء الواجب ، وهى هى أيضًا المنزلق للجموح أو الجنوح إذا حصر الضابط نفسه فيها وتصور أنها امتياز لا مسئولية . السلطة هى جوهر المسئولية الأمنية ، وعدة الأداء الأمنى، ووسيلة وضمان القيام بواجباته ..ولكنها فى الوقت ذاته امتحان ، لأن ممارستها تختلط بالذات ، وتتغلغل فى التكوين النفسى وقد تغرى بالتعلق أو التحصن أو التباهى بها .. وقد يقود ذلك إلى الإسراف فى استعمالها أو اللجوء إليها فى غير موضعها ، أو الجنوح الخاطئ فى ممارستها واستعمالها !

فهم الشرطى للسلطة هو سبيله الرشيد أو الجانح للتعامل معها واستعمالها .. لا تنفصم السلطة عن فهم مبناها ومعناها .. ولذلك فإنها فى تقديرى هى الامتحان الأكبر للشرطى بعامة ، ولضابط الشرطة بخاصة . إن فهم أنها واجب ومسئولية ، أقسط فيها ووظفها توظيفًا صحيحًا لا إفراط فيه ولا تفريط ، حاملا بها مسئولياته قائما بواجبه ، فإن اختلطت لديه بالذات ، تيهًا أو إعجابًا ، جنحت به وجنح بها وتحولت إلى تسلط ممقوت يصيب الناس فى حقوقهم وأمانهم وكرامتهم ، ويورد

الشرطى نفسه موارد التهلكة ، حيث يسلسه الجموح فى ممارسة السلطة إلى مجارى الخطأ أو وهدة الجريمة !

ظنى أن هذه المعانى حاضرة فى المستويات الشرطية العليا ، ولعلها هى مرد اختيار شعار «الشرطة فى خدمة الشعب» .. للتذكير الضمنى بأن السلطة الممنوحة لرجل الشرطة هى للناس لا على الناس !

على أن التجربة تدل على اختلاط السلطة بالشخص فى بدايات الطريق ، حين يظن البادئ أو المبتدئ أنه يكبر بالسلطة ، فيطلبها لذاتها ويخطىء فهمها ويجنح فى ممارستها .. ومع تقدم العمر والنضج مع اتصال التجربة ـ يتراجع تدريجيا عشق السلطة لذاتها ، ويتقدم الفهم الذى إن غاب ـ وأحيانا ما يغيب ـ يظل الشرطى بعامة حتى بعد إحالته للمعاش ـ يظل حبيس أوهام السلطة التى تردى ولا تفيد !!.

*****